

الْمَنْهَجِيَّةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

لَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكُورِ
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعَرِ



المنهجية في طائفة العلماء

☎ 00966558883286

📺 YouTube/alshuwayer9

🐦 📍 📌 📧 alshuwayer9

للإعلام بالأخطاء الطباعية والاستدراكات والاقتراحات؛ يرجى المراسلة على البريد التالي:

tafreeghalshuwayer@gmail.com

لَيْسَ إِلَهُنَا إِلَّا خَيْرَاتُ وَالْقَاءَاتِ الْعَلَمِيَّةِ لَفْضِيلَةِ الشَّيْخِ

٢٥

الْمَنْهَجِيَّةُ فِي
طَرِيقِ الْعِلْمِ



لَفْضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكُورِ
عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ الشَّوَيْعَرِ

النُّسخَةُ الْأُولَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
ومن سار على نهجه واقتفى أثره واستن بسنته واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

-أيها الإخوة الكرام- فأحمد الله **عَزَّوَجَلَّ** على إنعامه وإفضاله **جَلَّوَعَلَا** إذ جمعنا في هذا
المكان لتذاكر شيئاً من العلم، فإنَّ العلم من أعظم القربات إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** وقد ثبت عن
مطرف بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه قال: «**فَضْلُ عِلْمٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ**» وذلك
حق فإنَّ العلم فضله عظيم وأجره عند الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أجر بين كبير، لذلك فإنَّ الله **عَزَّوَجَلَّ**
اختصَّ أهل العلم بأن جعل لهم منزلة عالية وجعلهم في مرتبة لا يدانيهم فيها أحد من
الخلق كما قال ربنا **جَلَّوَعَلَا**: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا
بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨] فقرن الله **عَزَّوَجَلَّ** بذاته الشريفة القدسية أهل العلم وما ذاك إلا
بما اتصفوا به من وصف عظيم وهو العلم، وقد بينَّ الله **عَزَّوَجَلَّ** أنَّ الله يرفع المؤمنين
العارفين به **جَلَّوَعَلَا** ومن أعظم بل أعظم ما ورد في فضل أهل العلم ما ثبت في صحيح
البخاري من حديث حميد بن عبد الرحمن الطويل عن معاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنَّه قام في
المسلمين خطيباً فقال: أيها المسلمون سمعت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**مَنْ يُرِدْ**
اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» وقد جاء في رواية عند أبي يعلى الموصلي في «المسند» وجود
إسنادها الحاكم ابن حجر حيث المعنى وإلا فإنَّ في إسنادها رجلٌ ضعيف وهو أبو الوليد
الموقر أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**وَمَنْ لَمْ يَفْقَهُ فَلَا خَيْرَ فِيهِ**» وهذا من مفهوم المخالفة

للحديث الأول، **المقصود**: أنَّ العلم من أعظم الدرجات التي ينال بها من أعظم الأعمال التي يرتفع بها العبد عند الله **عَزَّوَجَلَّ** درجات ويكون في منزلة عالية وقد كان بعض أهل العلم **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى** يقول: «إني لأقدم على الله **عَزَّوَجَلَّ** وما لي من عمل أرجو به إثابة عنده **جَلَّ وَعَلَا** إلا تعلم هذا العلم» وقد كان الأئمة **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى** يبذلون الغالي والنفيس لأجل تحصيل هذا العلم ولا شك أنَّ الحديث في فضل العلم ومكانة أهله حديث طويل ولو لم يكن فيه إلا ما دُوِّن وأراد المرء أن يقرأه في كتاب حافظ المغرب أبي عمر بن عبد البر - عليه رحمة الله - «جامع بيان العلم وفضله» لكفى في ذلك، ولكن حديثنا في هذا اليوم وهو حديث مختصر إذ يقول الإخوة أنه لا يجاوز النصف ساعة سيكون عن «**المنهجية في طلب العلم**».

-أيها الإخوة- إنَّ العلم الشرعي كما قلنا أنه علم فاضل ولكن كم من مُريد هدفاً معيناً لا يوفقه الله، لذلك فإنَّ من توفيق الله **عَزَّوَجَلَّ** للشخص أن يوفق للطريق الموثق لتحصيل العلم فكثير من الناس يتعب بدنه ويقضي وقته لتحصيل غاية لكنه لا ينالها، لذلك يقول أيوب السخيتاني وهو أحد التابعين كما روى عنه يعقوب بن سفيان الفسوي في كتاب «المعرفة والتاريخ» بإسناد صحيح أنه قال: «إنَّ من نعمة الله **عَزَّوَجَلَّ** على الحدث والأعجمي إذا أسلم أن يوفق لشيخ من أهل السنَّة يدلّه على العلم الصحيح»، أن يوفق المرء للطريق الصحيح في طلب العلم وأن يدلَّ عليه فهذه هي النعمة العظيمة، وقد استدلَّ بعض أهل العلم **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى** بما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة وبنحوه من حديث أبي الدرداء أنَّ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ بِهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**» قالوا: فإنَّ «**طَرِيقًا**» هي نكرة والنكرة في مقام الإثبات عند بعض أهل العلم تفيد العموم ممَّا يدلُّنا على أنَّ للعلم طرائق ووسائل مختلفة تختلف باختلاف الأشخاص

المنهجية في طلب العلم

وباختلاف الأحوال وباختلاف الأزمان ففي زمان استجدَّ من طرائق تحصيل العلم ما لم يستجد عند الأوائل، فالدراسة في المدارس النظامية والطريقة الحديثة في البحث وغير ذلك هي من وسائل العلم التي ربَّما لم تكن بهذه الهيئة عند الأوائل وهي طريق من طرق العلم ولا شك.

❖ قبل أن أتكلّم عن طريقة أو «المنهجية في طلب العلم» لابدّ للمرء أن يعرف أمورًا:

❖ **الأمر الأوّل:** أن من أعظم الوسائل المعينة على تحصيل العلم إخلاص العمل لله عزَّوجلَّ وهذا أمرٌ مهمٌّ فإنَّ إخلاص العمل لله عزَّوجلَّ يجعل المرء يثاب على تحصيل العلم أولاً، ثمَّ يوفق الله عزَّوجلَّ ذلك المرء بسبب إخلاصه لله سبحانه وتعالى.

ومن المسائل المشكّلة على كثير من الإخوان عندما يقول كيف أخلص النية في طلب العلم؟ وهذه المسألة ليست مشكّلةً على أهل زماننا بل حتّى على الأئمة قبل فقد ذكر ابن مفلح في كتاب «الآداب الشرعية» أن أبا بكر المروزي رحمه الله تعالى سأل الإمام أحمد كيف يكون الإخلاص في طلب العلم؟ **يعني:** ما هي النية التي أنويها إذا نويتها كنت مخلصاً في طلب العلم فقال الإمام أحمد: «أن تنوي بالعلم نفي الجهل عن نفسك»، أمّا أن تعلم الآخرون فهي مرحلة بعد ربَّما يصل المرء إليها وربَّما لا يصل فإنَّه من المسلّم عند الفقهاء والعلماء جميعاً أنه ليس لكلِّ أحدٍ أن ينقل كلّ ما علم فإنَّ الفقهاء عندما قسموا أنفسهم إلى طبقات فابن كمال باشا من فقهاء الحنفية قسم طبقات الفقهاء إلى نحو من ثلاثين طبقة والمشهور من طريقة الشافعية والحنابلة أنه يقسم الفقهاء إلى إحدى عشر طبقة، فمن كان في أدنى درجات هذه الطبقات لا يحق له حتّى نقل العلم لأنَّه ما زال في أوائل مراحل.



إذن: النية المقصودة هو أن ينوي المرء نفي الجهل عن نفسه فإن وفقه الله **عَزَّوَجَلَّ** فنال نصيباً من العلم ورزق فهماً وحسن إدراكٍ للعلم فإنه ينقله ويعلم غيره ويكون داعية إلى الله **عَزَّوَجَلَّ** على بصيرة ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨] قال أهل العلم: «وفي هذه الآية دليل على أن أعظم الناس اتباعاً للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** هم العالمون بسنته إذ الله **عَزَّوَجَلَّ** بين أن الدعوة تكون على بصيرة ومن اتبع النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على ذلك وقد ثبت من حديث أبي الدرداء **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَا يُورَثُونَ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا يُورَثُونَ الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِنَصِيبٍ وَافِرٍ».

إذن: المقصود: نعود بالأمر إلى الأوّل وهو أن من أعظم الوسائل أن يخلص المرء نيته لله **عَزَّوَجَلَّ** وأن يحذر أن تدخل في نيته دغل أو زيغ ومن أعظم الزيغ أن ينوي المرء بعلمه مباراة العلماء ومجادلة السفهاء، وقد كان الإمام مالك **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى يقول: «إِنَّ مِنْ قَصْدِ بَعْلَمِهِ مِمَارَاةَ الْعُلَمَاءِ وَمَجَادَلَةَ السُّفَهَاءِ فَقَدْ هَلَكَ» لأنّ المقصود هو نفي الجهل عن نفس المرء ثمّ التعليم وليس المباراة وأن يتقدّم عند الناس وأن يتصدّر، ومن أعجب ما روي في ذلك أن الأئمة **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تعالى وأنا سهلت الهمزة وهي قراءة نافع المدني وهي نطق القرشيين حذف الهمزة الأئمة هي الأئمة، إن الأئمة المتقدمين من أهل العلم **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تعالى كانوا يعرضون عن التقدم في العلم وأن يكونوا متصدرين فروى أبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات علماء أصبهان» بإسناد صحيح أن سفيان بن عيينة المكي **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى جلس في حلقاته في المسجد الحرام فوجد الناس قد اجتمعوا حوله حلقات فما كان منه إلّا أن أطرق رأسه ولم يتحدث ذلك اليوم ساعات ثمّ رفع رأسه وقال:

ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

سدت الرجال وكنت غير مسود

وكان الإمام أحمد **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** يقول: «إني رجل بليت بالشهرة» يقول ابن رجب: فكان أحمد يحرص على أن يأخذ طريقًا غير الطريق الذي عُرف فيه وما ذاك منه **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** إلا إعراضًا عن التقدم وعن أن يكون متصدرًا بعلمه، ويقول ابن رجب تعليقًا على ذلك: «فانظر إلى حال أبي عبد الله كيف أنه أعرض عن الشهرة فتبعته حتى أصبح أحد الأئمة الأربعة المتبوعين فلا يذكر اسمه إلا مقرونًا بالإمامة كحال إخوانه الأئمة الأربعة - رحمة الله على الجميع -».

فالمقصود: أن المرء من ألزم ما يحرص عليه أن يخلص النية لله **عَزَّوَجَلَّ** ومن أعظم الآثار أن يترك المرء العلم خشية الوقوع في الرياء ومن القواعد المقررة عند أهل العلم أن فعل الفعل لأجل الناس رياء والرياء ممحق بذات العمل وحده وتركه لأجلهم شرك ولذلك لا نترك العمل لأجل الناس لا نتركها لعمل وجاهد نفسك في أن تخلص لله **عَزَّوَجَلَّ** وقد جاء عن ابن جريج **رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى** أنه قال: «طلبنا العلم لغير الله **عَزَّوَجَلَّ** فأبى الله **عَزَّوَجَلَّ** إلا أن يكون له»، فالمرء كلما ازداد علمًا كلما ازداد خشية الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] قال الحسن البصري: «وروي عن ابن مسعود مرفوعًا ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ الْخَشْيَةُ﴾» وكلما ازداد المرء علمًا كلما ازدادت الخشية، هذه ستأتي بعد قليل إذا أردت أن تعرف أنك على طريق صحيح أم ليس بصحيح فانظر هل زادك العلم خشية وتقى لله **عَزَّوَجَلَّ** أم العلم الذي تعلمته جعلك تتبع الرخص وتبحث عن مزالق العلماء وزلاتهم وتبحث عمّا تترخص فيه، فإن كان الأول فاعلم أنك قد هديت فزادك خشية وزادك تقى

وعبادة الله **عَزَّوَجَلَّ** وإن كان الثاني فإنَّك تحتاج إلى مراجعة نفسك وسيأتي إن كان في الوقت فسحة.

إذن: هذا هو الأمر الأول **أي:** المرء بالإخلاص لله **عَزَّوَجَلَّ** وهنا كلمة جليلة للفضيل بن عياض **رَحِمَهُ اللَّهُ** تعالى يقول: «إنَّ إخلاصنا يحتاج إلى إخلاص»، المرء دائماً يحتاج أن يراجع نفسه وأن يراجع نيته وأن يراجع أن يلوم نفسه وخاصةً في جانب إخلاص العبادة لله **عَزَّوَجَلَّ**.

❖ **الأمر الثاني:** في مسألة العلم: أن يُعنى المرء بأن يسأل الله **عَزَّوَجَلَّ** التوفيق للعلم وقد جاء في صفات عباد الرحمن **جَلَّ وَعَلَا** أنهم يدعون الله **عَزَّوَجَلَّ** فيقول: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤] كانوا بعض السلف لا يدع صلاة إلا وذكر فيها هذا الدعاء ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ جاء عن بعض أهل العلم أنَّ إمامة الدين تكون بتحصيل العلم، فأنت تدعو الله **عَزَّوَجَلَّ** بأن يرزقك العلم ولا يخفى أنَّ كثيراً من الأئمة **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تعالى شربوا ماء زمزم ليُرزقوا علماً أو حفظاً أو فهماً فالخطيب البغدادي والحافظ ابن حجر والسخاوي وغيرهم من المتقدمون والمتأخرون شربوا ماء زمزم وجعلوا الله **عَزَّوَجَلَّ** أن يرزقوا علماً نافعاً، قد ثبت في «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد الله **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شَرِبَ لَهُ» **إذن:** أن يسأل المرء الله **عَزَّوَجَلَّ** التوفيق في العلم والسداد فيه هذه نعمة عظيمة جداً يحرص المرء عليها.

❖ **الأمر الثالث:** أن يعنى المرء بسلوك طريق أهل العلم، فإنَّ أهل العلم قد تتابعوا من

قرون كثيرة أربعة عشر قرناً وتزيد على سلوك مسالك معينة في طلب العلم فيستفيد المرء من طريق الأوائل ويجمع ما جمعه ويزيد عليه ولا يحرص على أن يذم الأوائل فإن من ذم الأوائل لم يكن على هدى فإن بعض الناس لا يوفق للهدى في العلم وإنما يبدأ علمه بالمنقصة بفلان وفلان وهذا على خلاف طريقة السلف، فإن أهل العلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى كانوا إذا أخذوا من أحدٍ علماً نسبوه إليه وترحموا عليه، وجاء عن رزق الله التميمي - عليه رحمة الله تَعَالَى - أنه قال: «يقبح بكم أن تستفيدوا منا ولا تترحموا علينا»، فمن بركة العلم أن تترحم على من استفدت منه وأن تنسبه إليه، وقد جاء في مقدمة تفسير أبي عبد الله القرطبي في «جامع أحكام القرآن» أنه نقل عن بعض السلف فقال: «إن من بركة العلم أن ينسب إلى أهله ويُترحم على قائله» فنعرف المتقدم فضله ونعرف له مكان وما بذله من جهدٍ ومن وقتٍ في تحصيل العلم فناخذ ما عنده ونستفيد به من نعيم.

أيضاً من طرق أهل العلم الاستفادة من وسائلهم ومن الآيات الشعرية المشهورة قول أبي هلال العسكري ونقل عن غيره أنه قال:

أَخِي لَنْ تَنَالَ الْعِلْمَ إِلَّا بِسِتَّةٍ سَأُنْبِيكَ عَنْ تَفْصِيلِهَا بِبَيَانٍ
ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ وَصُحْبَةٌ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ

هذه الأمور الستة سأتكلم عنها على سبيل الإيجاز والاختصار لأن الوقت أوشك على الانتهاء ما بقي إلا عشر دقائق أو نحوه:

❁ **الأمر الأول:** من هذه الأمور الستة الذكاء هذا من الله عزَّجَلَّ يُعطاه الشخص ويُحرمه الآخر، والذكاء نسبي يجب أن نعلم أن الذكاء نسبي فما كان عند امرئ ذكاءً في

الحفظ يكون عند الآخر ذكاءً في الفهم لذلك نقل عن الرازي الطبيب قد لا يسلم في الطب الحديث لكن يقوله فقط الطبيب يقول: أنَّ الشخص لا يمكن أن يجمع إلا في النادر بين الحفظ وبين الفهم يقول: لأنَّ الحفظ يحتاج إلى ييوسة في الذهن، هذا كلام طبيب الرازي والفهم يحتاج إلى رطوبة في الذهن وقلَّ ما يجتمعان، وهناك بيت المتنبي المشهور أنَّه: قَلَّ مَا يَجْتَمِعُ الْحِفْظُ وَالْفَهْمُ عِنْدَ امْرِئٍ.

فإن كان المرء عنده نقص في أحد الأمرين الحفظ والفهم فلا يظن في نفسه أنه محروم من كل العلم بل إنه ربَّما فاته بابٌ من أبواب العلم فيدركه في غيره.

إذن: الذكاء أمر نسبي فيكون عند شخص حفظاً ويكون عند آخر فهماً ويكون عند أحدهم تميزاً في باب الحديث وعلومه والآخر في استنباط من كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وفهم فنونه وآخر في علوم اللغة وثالث في علوم الفقه ونحو ذلك، إذا فاتك شيء لم تستطعه فجاوزه بما تستطيعه فإنَّ الأمور تختلف.

❁ **الأمر الثاني:** قالوا: الحرص؛ لا بدَّ من الحرص وقد جاء عن مجاهد كما في «صحيح مسلم» يخالف معلقاً: «لا ينال العلم مستح ولا مستكبر»، لا بدَّ من الحرص على العلم ومن لم يحرص على العلم فإنه لا يناله، وقد جاء عن أهل العلم أنَّهم قالوا: «إنَّ العلم إن أعطيته كلَّك - هذا قاله محمد بن شهاب الزهري - أعطاك بعضه، - إن أعطيته كلَّ شيء أصبت به وقتك وجهدك وعمرك - وإن أخذته جملة **أي:** مرَّة واحدة ذهب منك جملة، وإن أخذته جملة ذهب منك جملة».

إذن: العلم يحتاج إلى ثني ركب وإلى إطالة جلوس وإلى سهر ليلي لا ينال العلم

مستح ولا مستكبر. **إذن:** لابد من الحرص على العلم "ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ" لابد من المصابرة والمجاهدة أن يجاهد المرء على نفسه في طلب العلم والصبر عليه والحفظ يقول أبو هلال العسكري في كتاب «الفتح» على العلم نفسه يقول: «إِنِّي في فترة من حياتي كنت أجاهد نفسي على حفظ عشر أبيات في الليلة في أوّل أمري يقول: فتروضت على طلب العلم فأصبحت أحفظ القصيدة وفيها المئين من الأبيات في ليلة»، **إذن:** العلم يحتاج إلى مصابرة، أوّل العلم يحتاج إلى تعب وفيه بذل للوقت ثمّ مع الأيام ومع مرورها يصبح العلم لذيذاً على الناس.

❖ وهنا مسألة لعلّي أخرج بها قليلاً ثمّ سأعود إلى الأمور الست، إنّ للعلم لذة في النفوس لا تعادلها لذة، وقد ذكر الياضي في كتابه «مرآة الجنان» الياضي من علماء اليمن ذكر في كتابه «مرآة الجنان» قال: «إِنِّي لأحس بلذة في العلم فأتفكر أحياناً وأقول: إِنِّي لأخشى أن تكون قد عجلت لنا ثمرة أعمالنا في الدنيا»، الصّحابة - رضوان الله عليهم - لمّا فتحت عليهم الدنيا قالوا: خشينا أن نكون قد عجلت لنا ثمرة أعمالنا في الدنيا لمّا رأوا من ثمرة الدنيا يقول الياضي: إِنِّي لأجد في العلم لذة أخشى أن تكون هي تعجيل العمل الصالح الذي فعلته في الدنيا فلا أؤجر عليه يوم القيامة وما ذاك إلا من اللذة العظيمة التي يتحصل عليها المرء عندما يعتاد ويرتاض على العلم، ومن النكت ما نقله الغزي - عليه رحمة الله تعالى - أبي عبد الله [...] المالكي أحد الفقهاء في المغرب أنّه سُئِلَ لماذا كثر التأليف والتصنيف في أمة محمّد ﷺ في المسلمين؟ فقال: هذا هو حكمة تحريم الخمر انتهى، فعلق الغزي أو غيره قال: فالخمر لذة والعلم لذة، فحرّم على المسلمين الخمر فكان انصراف علمائهم للتأليف والعلم فكانت لذته عندهم موازية للذة شرب الخمر عند

غيرهم وهذا حق وقد أدركت من المشايخ من يقول: إنني لأتحسر إذا طلع الفجر أريد أن الليل يزيد ساعة لماذا؟ لسهره في طلب العلم ومراجعة مسائل أخرى وكان أبو نصر بن الصبار كبار فقهاء الشافعية صاحب كتاب «الشامل» كان يقول: لأن أبيت ليلة في مذاكرة مسألة أحب إلي من قيام الليل لما أعلم من نفع في هذه المسألة.

إذن: الأمور الست ثم "ذَكَاءٌ وَحِرْصٌ وَاجْتِهَادٌ وَبُلْغَةٌ" البلغة من الله **عَزَّجَلَّ** والتوفيق منه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** وحده فهو المسدّد وهو الذي يرزق المرء علماً ويوفقه عليه، والمرء إذا دعا الله **عَزَّجَلَّ** أن يرزق البلغة والعلم النافع فإن الله **عَزَّجَلَّ** يرزقه.

"وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ" العلم الشرعي يؤخذ بالتلقي وخصوصاً العلوم التي تكون بذات ألفاظ القرآن فإنه لا بدّ من أخذه بالتلقي على الأسيّاح وقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن عبد الله بن المبارك **رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى** أنه قال: «الإسناد من الدين فإن قيل عمن بقي».

وهنا فائدة: فقهاء الشافعية يذكرون خصائص أمّة محمّد في كتاب «النكاح» فقبل يتكلموا عن أحكام النكاح يذكرون خصائص أمّة محمّد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** لأنّ من خصائصه - عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم - أنّه تزوج تسعاً فمن باب الاستطراد يذكرون خصائص الأمّة في كتاب الله قالوا: ومن خصائص أمّة محمّد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** أنّ العلم عندهم لا يؤخذ من الصحف ومن الكتب وإنّما يؤخذ عن الأسيّاح لذلك قال بعض أهل العلم المتقدمين: فيما ثبت عن النبيّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** في الصحيح عندما قال: إن من علامة آخر الزمان أن يقبض العلم وأنّ العلم لا ينتزع من صدور الناس انتزاعاً وإنّما يقبض بموت العلماء قالوا: في هذا الحديث دليل على أنّ العلم لا يؤخذ من الكتب إذ النبيّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**

قد ذكر أن القلم ينتشر في آخر الزمان والكتب تكثر عند الناس ومع ذلك حكم النبي ﷺ برفع العلم بموت العلماء.

إذن: لا بد من الأخذ عن العلماء، من هو العالم الذي يؤخذ عنه؟ هناك صفات ذكرها أئمة العلم، العالم الذي يؤخذ عنه:

❖ **أولها:** أن يكون ذا دين، وقد كان الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قال: إذا أردنا أن نأخذ عن شيخ علمًا نظرنا في دينه قبل أن ننظر في علمه.

❖ **الأمر الثاني:** أن يكون المرء معروفًا عند أهل العلم في علمه وقد كان الإمام مالك - عليه رحمة الله - إمام دار الهجرة ومن ضربت له أكباد الإبل لكي يؤخذ عن علمه كان يقول: «ما أفتيت حتى شهد لي سبعين معممًا أنني أهل للفتوى» يقول: ابن ناصر الدين الدمشقي - عليه رحمة الله - يقول: «ولم يكن يتعمم في ذلك الزمان إلا فقيه» ولا يعرف الفضل لأهله إلا أهله أهل العلم هم الذين يعرفون للعلم فضلًا، وهنا مسألة أيضًا وهذا الاستطراد قد يكون عيبًا، هنا مسألة ذكرها الإمام الغزالي - عليه رحمة الله تَعَالَى - وتبعه المتأخرون قالوا: إن الواجب على المجتهد أن ينظر بين الأدلة ويرجح ويصحح، والواجب على غير المجتهد من المقلدين كجلنا إن لم يكن كلنا هو النظر بين المجتهدين فينظر الأعم والأورع فيأخذ بعلمه **بمعنى:** عندما أسمع فتويين أو قولين في مسألة فأني القولين آخذ؟ أنظر من الأعلى الأورع فأخذ من هذين الفتويين، وهذه ذكره الإمام الغزالي في كتاب «المستصفى» وفي كتابه [...] وكلاهما في أصول الفقه ثم تبعه أو تتابع عليه كثير من أهل العلم كالموفق وغيرهم.

"وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ" مِمَّا يَتَعَلَّقُ بِصُحْبَةِ الْأُسْتَاذِ ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ مِنْ بَرَكَةِ الْعِلْمِ أَنْ يُوْخَذَ الْعِلْمُ عَنْ كِبَارِ السَّنِ، وَقَدْ ثَبَتَ بِإِسْنَادٍ لَا بَأْسَ بِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بَنَحُوهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَزَالُ هَذِهِ الْأُمَّةُ بِخَيْرٍ مَا أَخَذُوا الْعِلْمَ عَنِ الْأَكْبَارِ» قَالَ ابْنُ مَبَارَكٍ: «أَكْبَارُ السَّنِ وَالْعِلْمِ»، وَكَانَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ كَمَا فِي كِتَابِ «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» وَذَكَرَهَا أَيْضًا بِنَصِّهَا فِي كِتَابِ «النَّصِيحَةِ» وَنَقَلَهَا عَنْ ابْنِ قَتِيْبَةَ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمَ بْنِ قَتِيْبَةَ جَا حَظَّ أَهْلِ السَّنَةِ كَمَا يَقُولُ الشَّيْخُ تَقِي الدِّينِ فِي كِتَابِ «الْأَدَبِ وَالْمَسَائِلِ» يَقُولُ: «لَا تَأْخُذْ شَيْءً مِنْ عِلْمِكَ عَنْ شَابٍ حَدَثَ وَلَوْ كَانَ مُسْنَدَ عَصْرِهِ وَإِمَامَ وَقْتِهِ فَإِنَّ الشَّابَّ لَا تَوْمَنَ عَلَيْهِ فَتَنَةٌ وَلَا يَوْمَنُ عَلَيْهِ الْهَوَى»، ثُمَّ قَالَ: عَلَيْكَ الْأَخْذُ عَنِ الْأَشْيَاخِ كِبَارِ السَّنِ فَإِنَّهُمْ أَهْلُ خُبْرَةٍ وَحِكْمَةٍ، وَقَدْ ذَكَرَ الرَّامَهْرَمَزِيُّ فِي «الْمَحَدَّثِ الْفَاصِلِ» أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ كَانُوا يَسْتَحِبُّونَ أَلَّا يَجْلِسَ الْمَرْءُ لِلتَّدْرِيسِ حَتَّى يَبْلُغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ قَصْدَ كِبِيرِ السَّنِ أَقْرَبَ لِلتَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

"وَصُحْبَةُ أُسْتَاذٍ وَطُولُ زَمَانٍ" وَهَذِهِ الْمَسْأَلَةُ وَهِيَ طَوِيلُ الزَّمَانِ مِنَ الْأُمُورِ الْمَهْمَةِ وَهُوَ أَنَّ الْمَرْءَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَنَالُ بِالْيَوْمِ وَلَا بِالْيَوْمَيْنِ وَلَا الثَّلَاثَةِ وَلَا الشَّهْرِ وَلَا السَّنَةِ بَلْ لَا بَدَلَ لَهُ عَمَلِيَّةٌ تَرَاكُمِيَّةٌ يَتْرَاكُمُ بَعْضُ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضِهِ حَتَّى يَحْصُلَ الْمَرْءُ عَلَى بَغْيَتِهِ وَيَتَحَصَّلَ عَلَى مَا أَرَادَ، وَقَدْ ذَكَرْتُ لَكُمْ مَا قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الزَّهْرِيُّ.. شَيْخُ الْإِمَامِ مَالِكٍ وَمَالِكُ رَوَى عَنْهُ وَهَذِهِ تَسْمَى رَوَايَةُ الْأَصَاغِرِ عَنِ الْأَكْبَارِ وَرَوَايَةُ الْأَكْبَارِ عَنِ الْأَصَاغِرِ فَإِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ شَهَابٍ رَوَى عَنْ مَالِكٍ مَعَ أَنَّهُ مِنْ طَبَقَةِ الشَّيُوخِ، وَهَنَا نَكْتَةُ فَإِنَّ الْإِمَامَ مَالِكَ كَانَ يَقُولُ: «لَيْتَ مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ لَمْ يَرَوْيْ عَنِي» لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ قَالَ: رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ شَهَابٍ الزَّهْرِيُّ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ الْأَصْبَحِيُّ مَوْلَاهُمْ فَجَعَلَهُ مَوْلَى لَهُ فَقَالَ: لَيْتَهُ مَا رَوَى عَنِي

فجعلني مذمةً ولم يجعلني مولى، شرف له أن يروي عنه شيخه محمد بن شهاب وهو إمام وقته ولا شك [...].

المقصود: أن محمد بن شهاب كان يقول: «العلم إن أخذته جملة ذهب منك جملة»، لا يمكن أن تنال العلم في شهر أو شهرين أو سنة أو سنتين، لذلك ممّا يدلُّ على قلة علم بعض الناس أنّه من يبدأ في طلب العلم يبدأ في التصحيح والتضعيف والترجيح، ويبدأ بالإنكار على الأكابر من أهل العلم المتقدمين وغيرهم وهذا دليلٌ على عدم استواء مقامه وقد كان الأثرم سُئل الأثرم ومن أصحاب الإمام أحمد لماذا أحمد دائماً إذا سُئل في كثير من المسائل قالوا: قد اختلف الفقهاء قالوا: كذا وقالوا: كذا ويسكت قال: لعلمه بالخلاف فكان يتورع، المرء كلما ازداد علماً كلما ازداد ورعاً لله **عَزَّجَلَّ** وهذا مسلّم، لذلك يقول الإمام الشافعي - عليه رحمة الله تعالى -: «العلم أربعة أرباع وهي متفاوتة في الطول فالربع الأوّل من أخذه ظنّ أنّه أعلم الناس، وما أكثرهم إذا أخذ الربع الأوّل ظنّ أنّه أعلم الناس، قال: فإذا أخذ الربع الثاني وهو أكثر من الربع الأوّل عرف أنّه يحتاج إلى علم زيادة قال: فإذا أخذ الربع الثالث علم أنّ ما فاته أكثر بكثير ممّا أدرك قال: وأمّا الربع الرابع فلا يكاد أحد أن يملكه، لذلك للحافظ أبي رجب المتوفى سنة سبع مئة وخمسة وتسعين رسالة رائعة رائقة في الخشية والعلم بنى هذه الرسالة على معنى واحد أنّ المرء كلما ازداد علماً ازداد خشيةً لله **عَزَّجَلَّ** وهذا محقق ويجب أن يركز عليه أنّ المرء يجب أن يتلي ويقيس مقدار علمه بمقدار عبادته لله **عَزَّجَلَّ** يقول ابن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** كما عند الدارمي: «يجب على صاحب القرآن أن يعلم بليّله إذا الناس نائمون ويعلم بصومه إذا الناس مفطرون ويعرف بسكوته وذكره الله **عَزَّجَلَّ** إذ الناس خائضون، وصاحب العلم يجب عليه أن يقيس علمه

بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ** ولا شكَّ أنَّ العبادة من العالم وطالب العلم أفضل من غيره وقد جاء في مسند إسناده لا بأس به من حديث عمار **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أنه صلى صلاة فأسرع فيها ثم قال: سمعت النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ** يقول: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَصَلِّي وَلَيْسَ لَهُ مِنْ صَلَاتِهِ - أي من أجر صَلَاتِهِ - إِلَّا نِصْفُهَا إِلَّا ثُلُثُهَا إِلَّا رُبْعُهَا إِلَّا خُمْسُهَا إِلَّا سُدُسُهَا إِلَّا سَبْعُهَا إِلَّا ثُمْنُهَا إِلَّا تَسْعُهَا إِلَّا عَشْرُهَا**» قال أهل العلم: وينقص الأجر ويكمل للمرء بحسب أمرين:

- بحسب إخلاصه لله **عَزَّوَجَلَّ**.

- وبحسب متابعتة للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

ولا تكون متابعتة إلا بعلم، فأنت عندما تصلي تصف قدميك وتجعل لك هيئة في الصلاة هذه الهيئة ربّما كنت معتاداً عليها فإن كنت فعلتها عن اتباع للنبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** وعلم بها فإنك تؤجر أكثر من أجر من يعملها كعادة، تعود على هذه الهيئة لكن أنت عرفت أنَّ هذه الهيئة إنّما هي بناء على سنة **مثلاً** عندما تضع يديك **مثلاً** على صدرك وتكون جعلت اليمنى على اليسرى وتعلم أنَّ من حديث وائل بن حجر أنه فعل ذلك أو مثلاً عندما تجعل أصابع رجلك إلى القبلة في السجود وهكذا وأنت تكون [...] بعد علم فأجرك يكون أعظم من أن يفعلها معتاداً وهكذا.

المقصود: أنَّ المرء يحرص وهذه هي ثمرة العلم على العمل وأما قول بعض الناس: خذ علمي ولا يضرك تقصيري، هذا لا شكَّ من باب تواضع [...] المؤمن دائماً يكثر عمله ولا يلوم نفسه فإنَّ الملامية طريقة ذمها أهل العلم، الملامية أن يقول: أنا عاصي أنا سيء أنا أنا، الملامين ذمها أهل العلم وجاء عن الأئمة الكبار ومنهم ابن الجنيّد من أئمة السّنة [...]

أنَّه ذَمَّ الملامية وإنَّما تحقَّرَ عملك، نعم هذه هي طريقة أهل العلم تحقِّرَ عملك، نعم أنا قليل من عملي ولا شكَّ فإنَّ من أُعْجِبَ بعمله فقد اغترَّ، لكن يجب على طالب العلم أن يكون ذا طاعة أن يكون سَبَّاقًا للمساجد يقول سعيد ابن المسيَّب - عليه رحمة الله تعالى -، وهنا فائدة يقول الذهبي أنَّ قوس العيد بن المسيَّب: سيِّبوني سيِّبهم الله **أي**: بالفتح [...] هذه لا تصحُّ عنه وإنَّما المحدثون قد أجمعوا على نقص اسمه على وزن اسمه "المسيَّب" وأما قول ابن المسيَّب فهذه لم يقلها المحدثون عنه وهم أعلم الناس به وأمَّا ما نقل عنه من تسمية نفسه بالمسيَّب فقال: أنَّ إسناده عن ضعيف، كان سعيد بن المسيَّب منذ أربعين سنة لم يؤذن المؤذن إلَّا وأنا في مسجد رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ**.

المقصود: أنَّ المرء يجب عليه أن يعنى بالعبادة فإنَّها أمر والعلم.

الحديث عن العلم طويل ومتشعب وأنا حقيقةً عندما قيل لي تحدث عن هذا الموضوع تذكرت بيت سحيم بن وثيل مولى بني الحسحاس حينما قال:

مَرَرْتُ عَلَى وَاْدِي السَّبَاعِ وَلَا أَرَى كَوَاْدِي السَّبَاعِ حِينَ يُظْلَمُ وَاْدِيَّ

هذا الباب باب طويل باب متفرِّق الشعاب متنوع الفروع والحديث فيه طويل لكن نكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق وربَّما ما ذكرت نقلًا عن أهل العلم فلم آتي من كيسي بشيء وإنَّما قلت كلام أهل العلم **رَحِمَهُمُ اللَّهُ** تَعَالَى ونفعنا بعلومهم وجمعنا بهم في جنات النعيم وحشرنا مع أهل العلم والهدى والتوفيق للسنة وأسأله **جَلَّ وَعَلَا** أن يرزقنا العلم النافع والعمل صالح وأن يتولانا بهداه وأن يغفر لنا ولوالدينا والمسلمين والمسلمات وصَلَّى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

وأنا أعتذر أولاً وأخيراً من مشايخنا الفضلاء إذ تكلمت بحضرتهم ولكن كما قال أهل العلم أنه يجوز تقدم المفضل مع وجود الفاضل وعقيدة أهل السنة أن إمامة المفضل مع وجود الفاضل صحيحة لأن النبي ﷺ صلى خلف أبي بكر وخلف عبد الرحمن بن عوف مما دلّ على تقدّم المفضل على الفاضل ولكن الإنسان يأتي بما عنده ربّما وُجد في النهر ما لا يوجد في البحر.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبيّنا محمّد،
وآله وصحبه أجمعين.

الأسئلة:

السؤال:...

الجواب: النبي ﷺ صلى الله عليه وسلّم ثبت عنه قال: «أَنَا زَعِيمٌ بَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَلَوْ كَانَ مُحِقًّا» مجادلة العلماء تكون بالنظر في المسائل لا لقصد الوصول للحق وهذا فن وُجد في القرن الرابع الهجري وما بعده وهو أن يجتمع الناس في المساجد ليتجادلوا لا للوصول للحق وإنما بقصد الغلبة، وأمّا المذاكرة فإنّها حسنة قد ذكر أهل

العلم أنَّ العلم له خمس درجات في تحصيله:

- أخذه عن الأُشْيَاح من كان أعلى منك.

- والمذاكرة مع من كان في مستواك، يكون مقاربًا مع الأقران.

- والتعليم من كان دونك.

- ثمَّ البحث.

- والحفظ.

هذه خمس وسائل تكون لتحصيل العلم أمَّا السفهاء فإنَّ بعض الناس يجادل في العلم لا لقصد الخير وإنَّما لقصد إنقاص الدين، وقد جاء عن الإمام مالك أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ بعض الناس أن ينظره سد أذنيه وقال: ولا أناظرك ولا بربيع كلمة.

السؤال:...

الجواب: لا شكَّ أنَّ المعاصي لها شؤم ومن أعظم شؤم المعاصي أنَّ المعصية تجلب أختها وتجريها، ومن أثر المعصية حرمان العلم، وقد جاء عن بعض السلف **رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى** قال: إِنِّي حُرِّمْتُ الْعِلْمَ أَوْ عِلْمَ كَذَا وَأَنْسَيْتُ كَذَا بِسَبَبِ نَظَرَةٍ مُحَرَّمَةٍ نَظَرْتُهَا. يقول الإمام الشافعي:

فَأَرَشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

شَكَّوْتُ إِلَى وَكَيْعٍ سُوءٍ حَفَظَنِي

وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدِي لِعَاصِي

وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ

يقول العلامة ابن القيم **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى كلامًا نفيسًا يقول: «إِنَّ المرءَ إذا جمع بين العلم والتقى فذاك هو الكبريت الأحمر - أن تجد عالمًا عابدًا جمع العلم والتقى بكمالهما أو قريبًا من كمالهما فهذا مثل الكبريت الأحمر نادر الوجود - فإن وجدته فأعضض عليه بنواجزك واقبض عليه بكلتا يديك»، أن تجد عالمًا واسع العلم والاطلاع قد تجد لكنه ربّما عنده تقصير في عبادة وأن تجد زاهدًا منقطع لله **عَزَّوَجَلَّ** ستجد ولكنه ربّما عنده نقص في علم أن تجد رجلًا بلغ المنزلتين العليين يقول ابن القيم: هذا قليل جدًا في أهل الزمان وقل ما يوجد عندهم فإذا وجدت شخصًا فاقبض عليه.

المقصود: أن المعصية لها أثر في العلم ولا شك لكنها لا تحرم [...].

السؤال:..

الجواب: أبو بكر المروزي **رَحِمَهُ اللهُ** تعالى سأل الإمام أحمد قال: الرجل يكون عنده الأيتام **يعني:** أبناءه أو أبنائهم هم تحت يده قال: يكون عنده الأيتام يسمعهم الحديث قال: لا، يقرئهم القرآن، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم يسمعهم الحديث. **إذن:** أوّل وأعظم وأجل ما تصرف فيه الأوقات هو كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** ويجب أن نعلم أن العلم بكتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** أمور ثلاثة:

❖ **أولها:** معرفة إعرابه وهذا هو أهمها وأولها وقد جاء أن أبا بكر الصديق **رَضِيَ اللهُ عَنْهُ** كان يقوم في المسلمين ويقول: أيها المسلمون أعربوا القرآن ولا **أعني:** بإعراب القرآن معرفة المبتدأ من الخبر ولا الفاعل من المفعول ونحو ذلك وإنما المقصود بالإعراب نطقه نطقًا صحيحًا، فإخراج الحروف من مخارجها ومعرفة حركاته المرفوعة ويرفع والمخفوض

الْمَهَجِيَّةُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ

يخفض والمنسوب ينصب وهكذا هذا هو إعرابه وقد جاء أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كان يضرب أبناءه على ترك الإعراب ولا يضربهم على ترك الحفظ ممّا يدلُّ على أهمية معرفة إعراب القرآن وهو النطق الصحيح له.

❖ **الأمر الثاني:** أن يعنى المرء بحفظ آياتٍ منه والناس يختلفون فما كلُّ الناس يستطيع حفظ الكتاب كامل حتّى إنّ الصّحابة - رضوان الله عليهم - لم يكن كلّهم جامع للقرآن وهذا مسلّم وإنّما كان يجمعهم عددٌ منهم، فمعرفة آيات منه بحسب قدرة الشخص واستطاعته حسن، وقد جاء عن أبي داود وإن كان في إسناده مقال قال: لكن له شواهد بمعناه أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا حَفِظَ الْقُرْآنَ كَسَى وَالِدِيهِ تَاجَ الْوَقَارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومن حفظ جزءاً من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ حفظه الله في الدنيا والآخرة في الصحيح أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَحْفَظُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ» فريحها عند الناس طيب وطعمها عند الله عَزَّوَجَلَّ طيب أي: وثوابها عند الله عَزَّوَجَلَّ طيب، وقد جاء عن عكرمة كما عند الدارمي بإسنادٍ حسن قال: «تَأْذَنَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ مَنْ حَفِظَ الْقُرْآنَ إِلَّا يَخْرِفُ» الله عَزَّوَجَلَّ يحفظ عقل حافظ القرآن لأنّه يدعو الله عَزَّوَجَلَّ بالحفظ كما تعلمون أن في الترمذي بإسنادٍ حسن أن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا أَبَدًا مَا أَبْقَيْتَنَا» فمات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ممتعاً بأعضائه كلّها.

❖ **الأمر الثالث:** أن يحرص المرء على معرفة معانيه، معاني هذا الكتاب العظيم ومعرفة معانيه بأربعة أنواع كما قال ابن عباس ورواه ابن جرير الطبري في مقدمة تفسيره

فمن معاني القرآن ما يُعرف بلسان العرب ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] معرفة معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ بمعنى عام أمّا المعاني الدقيقة الفرق بين الحمد والشكر وغير ذلك هي مسألة أخرى فتقرأ باللسان الدارج عند الناس.

✽ الأمر الثاني: معرفة غريب اللغة فإنّ من الألفاظ الغريبة في القرآن ما لا يُعرف إلّا بمعرفة الغريب كما قال ابن عباس: والله ما كنت أعرف ما معنى ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ﴾ [فاطر: ١] ما معنى فاطر؟ حتّى اختصم لدي أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرته قبله، فعرفت أنّ فاطر **بمعنى**: شاق.

✽ الأمر الثالث: ما يعرف من كلام أهل العلم واستنباطهم بالدلالات لفظية مختلفة سواء كانت دلالة الإشارة دلالة المنطوق دلالة المفهوم بأنواعه اللقب والوصف والعدد وإلى آخره، دلالة [...] من الخطاب وفحوى الخطاب وغير ذلك من الدلالات اللغوية التي يعرفها أهل العلم بناءً على أمور متراكبة قبلها وهذه أمثلة كثيرة في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** وخصوصاً في باب الأحكام.

✽ الأمر الرابع: ما يزيد ما جاء به النقل من المغيبيات ويجب أن يُعنى أنّ المغيبيات سواءً فيما كان فيما مضى أو ما سيأتي في كتاب الله **عَزَّوَجَلَّ** فإنّ الاجتهاد فيه ضيق بخلاف الأحكام، وأنت إذا نظرت في قول أبي بكر الصديق **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عندما سُئل عن قول ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١] ما هو الأب؟ قال: أي سماء تظلني وأي أرض تقرني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم، وعمر يقول: ويح عمر وويح أبيه وأمه إن قال في كتاب الله ما لا يعلم، لماذا؟ لأنّ الأب هنا هي الجنة وهي من الأمور المغيبيّة فكأنهما تخرجا أن يقولوا شيئاً من المغيبيات

باجتهادهما إلا شيئاً قد جزم به معرفة لسان العرب أو عن النبي ﷺ.

المقصود: أن هذه الأمور الأربعة يعنى بها لمعرفة كتاب الله عز وجل.

✽ والأمر الخامس: ما اختص الله بعلمه وقد يلزمه لبعض دون بعض وهذا يختلف

بحسب تفصيل أهل العلم كما قال الله عز وجل في سورة آل عمران ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ

أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فالمتشابه بعضه **يعني:** يظهر لبعض الناس.

